مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية /المجلد ٢٤/ العدد٤ :٢٠١٦

سيميولوجيا النمط الإدراكي للُغة العُنف في المَسرح

علي عبد الامير عباس

جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلة

ali abdulameer abbas / fine.ali.abd@uobabylon.edu.iq

الملخص

يُعد العنف بشتى أشكاله المختلفة اليوم من المفاهيم التي تلعب الدور الأكبر في الساحة العالمية والعراقية على وجه الخصوص مُتمثلاً في الصُعد كافة السياسية والاقتصادية والأدبية والثقافية والفلسفية عبر سِفر التاريخ الحافل بكل ما هو مؤلم من جراء استخداماته التعسفية في عموم الحياة ، فبات المفهوم على صِلة وثيقة بالحياة اليومية لبني البشر قاطبةً بعد استخداماته بالإيذاء النفسي والبدني .

بعد ان تفاقم حضور هذا المصطلح في الحياة اليومية للعراقيين وما آلت اليه الأوضاع ولا سيَّما بعد عام ٢٠٠٣ فبدا جلياً بروز بعض الظواهر التي كانت تختبئ قبل التاريخ المذكور آنفاً تحت مُسميات شتى ، فلعبت الثقافة البصرية الدور الأبرز في ظهور الظواهر التي من شأنها التداخل مع ما المُدركات التعليمية للنسيج الاجتماعي العراقي والتي كانت لوفودها عليه الأثر البالغ على النسيج الاجتماعي لمكونات الوطن وفي البحث الحالي سنتعرف الى انساق دلالات وعلامات الرموز التي نستدل من خلال تواجدها حضور المفهوم متُجلياً بأنماط معرفية وتفكيرية ، فهو أسلوب يتم أتباعهُ من شخص أو مجموعة أشخاص للتعبير عن عما يكمُن في دواخلهم من شعور وحاجات أتجاه الآخرين .

ولعب الإعلام دوراً بارزاً في إبراز هذه الظاهرة على الملأ من عامة المتلقين لهذه المُمارسة ، وقد لعِب دوراً كبيراً في الحد من الافعال التي من شأنها الحد من أنتشار هذه المُمارسة ، وكان المسرح مُتمثلاً بنصهِ وخشبتهِ له الفعالية الجيدة في إبراز معالم الظاهرة بتناولها نصياً على خشبة المسرح ، فأضحت هذه المدونة تنفرد في البحث عن الاسلوب العراقي وتمثلات ظاهرة العنف من خلال خطاب المدونة المسرحية العراقية ، الذي ما لبث إلا ان يتناول كل صغيرة وكبيرة تدخل جسد الحياة العراقية سوآءٌ أمن قريب أم من بعيد على حدٍ سواء ، فالصراعات والحروب التي هي أحدى أشكال العنف وصوره ما لبثت أن تُغادر الساحة وحضورها أزلي منُذُ سابق العصر والأوان فقد شهدت الحضارة الرافدينية القديمة بروز مثل هكذا موضوعات في ساحتها الثقافية والادبية متمثلةً بأساطيرها القديمة وملاحمها الاسطورية التي صورت بعض أنواع الصراعات مع الشر والتي كانت سائدة في الحضارات الشرقية وغالباً ما تنتهي بإراقة الدماء والقتل .

الكلمات المفتاحية:النمط الادراكي، العنف ، انليل.

Abstract

Today, Violence is in its different and various forms is considered one of the concepts that play the biggest role in the world and the Iraqi arena, in particular, represented in all political, economic, literary, cultural and philosophical levels across the history Which is full of pains as a result for its abused uses through life, The concept became closely linked to the daily life of human beings as a whole after the uses of psychological and physical abuse.

After the precence aggravation of this term in the daily lives of Iraqis and the results of conditions and in particular after ٢٠٠٣,Some phenomena Started to be veru clear which were hidden before afore mentioned date under various names, visual culture played the most prominent role in the emergence of phenomena that would overlap with the educational perceptions of the Iraqi social struct, which its incoming

resulted in great impact on the Socila structure of the national components and the impact in the current search will learn to formats indications and signs of symbols that we infer through its presence to attend concept manifested patterns of knowledge and cogetation,It is a method Which is followed by a person or group to express what lies in their inside of sense and needs towards the others.

The media also played a prominent role in highlighting this phenomenon publically from the recipients of the practice in general, and played a major role in the reduction of actions that will reduce the prevalence of this practice, als the theater which was represented by the its context and stage has good effectiveness in highlighting the phenomenon textual handling it by script the on stage, This entry has become unique in its search of Iraqi style and the phenomenon of violence was reprsented through the entry speech of the Iraqi play , which is immediately started to deal with every nook and cranny enter the body of Iraqi life, whether from close or from afar alike, conflicts and wars that are One of the forms and images of violence was soon to leave the arena and the presence eternal since an earlier age and the time has seen the ancient Mesopotamian civilization, the emergence of such a topics in cultural and literary battleground represented by its epics and legends which filmed some types of conflicts with the evil that existed in Eastern civilizations and often end up shedding bloodshed and murder.

Key words: cognitive style, violence, ANLIL.

الفصل الأول/الإطار المَنهجي للبحث

مُشكلة البحث

توصف الأساليب التي يتبعها الأفراد في التفكير وفي فهم المعلومات وكيفية حفظه للمعلومات بالأسلوب المُفضل في استعمال لحل المشكلات والعُقد التي تواجه حياته ومصيره ، تُعد ظاهرة العنف من الظواهر التي باتت تُشكل الخطر الحقيقي على النسيج المجتمعي من خلال ما تتبناه من ايديولوجيات فكرية تستخدم شتى انواع الظاهرة وصورها للحصول على ما تُريد وذلك بزيادة العنف والعنف الآخر، فالفرد يتعامل يومياً مع العديد من المُثيرات التي إذا ما أراد أن يُشبِع حاجاته منها فما عليه إلا يتعامل مع الآخرين بكل هدوء وان يتجنب إثارة حفيظة الآخر جراء أفعاله اتجاهه ، هذا اذا أراد ان يتعايش سلمياً مع الآخر ، اما اذا ما أراد أحد الاطراف ان يتجه برأيه صوب المجهول فما عليه إلا ان يكون النزاع والصراع حاضراً في مُجمل الحياة اليومية،فالعنف ما هو الا نمط لحضور التفاعل الاجتماعي بين الافراد فهو اما ان يكون داخلياً صوب الفرد ذاته او قد يوجه صوب الخارج كوسيلة لحماية الانا الفردية . وانطلاقاً من المبدأ الذي انتهت عنده مُشكلة البحث . وبناءً على ما تقدّم، فإن مُشكِلة البحث الحالي تتَمحور بالاستفهام التالي:

هَل ان العنف المستخدم في النص المسرحي بشتى صوره يُشكل نمطاً إدراكياً من العلامات والأدلة والرموز؟

أهمية الدراسة والحاجة إليها

تكمن أهمية هذا البحث بأهمية الموضوعة التي بدأت تنتشر بصورة مُريبة ومُخيفة في الوقت ذاته ، ان تسليط الضوء على ظاهرة العنف على وجه الخصوص وإماطة اللثام عن المُمارسات الاجتماعية لهذه المفاهيم، لن يكون بتلك الأُلفة التي اعتدنا عليها في إقامة البحوث والدراسات كونها ستُعطينا المؤشرات التي من شأنها معرفة المستوى الذي وصَلت اليه الظاهرة ، ومهما كان المفهوم يقبع في بعض زواياه تحت ما يُعرف بالـ(مسكوت عنه) أي ان بعض هذا البحث لن يستطع الوصول لكل خباياه والمُظلمة منها على وجه الخصوص ، كُل هذا سَنَجده جَلياً في مدونات المسرح العراقي وبالأخص بعد العام ٢٠٠٣ لكونها أتت بظواهر العولمة وعلى مرأى ومسمع الجميع.

هدف الدراسة:تهُدف الدراسة الحالية إلى :

بَيان العِلاقة بين العلامات والأدلة والرموز للأنماط الإدراكية لصور العُنف المَسرحية ، والكشف عن حجمها.

حدود البحث

الحدود المكانية : جمهورية العراق.

الحدود الزمانية : ٢٠٠٣ – ٢٠١٠.

حدود الموضوع : سيميولوجيا النمط الإدراكي للعُنف وتجلياته المَسرحية .

مصطلحات الدراسة

سيميولوجيا (اصطلاحاً)٠

وهو مصطلح يدل على " الاتصال الانساني الذي يوظف أنظمة علامية مصطنعة (أي اصطنعها الانسان) وعرفية اصطلاحية " [١].

التعريف الإجرائي لمفهوم الـ(سيميولوجيا)

التوظيف الانساني لنظام مُصطنع علاماتي واشاري مُتفق عليه.

النمط الادراكي (اصطلاحاً):النمط هو"الكيفية التي يُستخدم فيها منطق...إذ ينتمي النمط كعرض شكلي الى عالم مؤلف من توليد أنماط"[٢].

والأنماط هي"واحدة من الوسائل التي من خلالها تتضح الذاتية في اللغة " [٣].

يُحيل (معجم مصطلحات التحليل النفسي) تعريف الادراك الى تعريف الوعي من انه " صفة آنية تميّز الادراكات الخارجية والداخلية من بين مجمل الظواهر النفسية " [٤].

التعريف الإجرائي لمفهوم (النمط الادراكي):كيفية الاسلوب الفردي لفهم نسق العلامة المُرمزة .

العنف (لغةً)وهو" عَنُفَ يَعنُفُ عُنفاً عَنِيفٌ :- عليه : أخذه بشدّة وقسوة ، لامه بشدّة " [٥].

العنف (اصطلاحاً):العنف هو" مُمارسة مُلازمة للعلاقات الاجتماعية تُعبر عن أشكال عديدة تتخذها هذه العلاقات " [٦].

التعريف الإجرائي لمفهوم الـ(العنف):المُمارسة الجسدية واللفظية التي تعبر عن شكل العلاقة بين طرفين .

الفصل الثاني

المبحث الاول: الصراع والنزاع المؤسس للظاهرة في بلاد وادي الرافدين

سيأخذ البحث الحالي بدءاً المنحى المتوالد من حضارة وادي الرافدين عبر التاريخ محطات للتعرف على المصطلح ونماء الظاهرة التي تناولتها المدونات التي حملها لنا التاريخ البشري وسنتناول البحث بدءاً من

---

[١] دانيال تشاندلر : معجم المصطلحات الاساسية في علم العلامات(السيميوطيقا) تر: شاكر عبد الحميد ، اكاديمية الفنون ، دراسات نقدية (٣) ، مطابع المجلس الاعلى للآثار ، القاهرة : ٢٠٠٢، ص١٩١.

[٢] بيار بونت و ميشال ايزار وآخرون : معجم الاثنولوجيا والانتربولوجيا ، ط ٢ ، ترجمة : مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت : ٢٠١١ ، ص٩٢٤.

[٣] كامل عويد العمري : معجم النقد الادبي ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد : ٢٠١٣ ، ص ٢٨٨.

[٤] جان بلانش ، جان برتراند بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة : مصطفى حجازي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت : ٢٠١١، ص٩٥٨.

[٥] جماعة من كبار اللغويين العرب: المعجم العربي الاساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، ص ٨٧٢.

[٦] جيرار بن سوسان و جورج لابيكا : معجم الماركسية النقدي ، تر: ترجمة جماعية ، دار الفارابي و دار محمد علي للنشر ، بيروت – صفاقس : ٢٠٠٣، ص٩٥٨.

التاريخ القديم ، بعد ان كانت النزاعات هي الأساس المؤسس للميثولوجيا القديمة اذ كانت قوى الهيولي (الآلهة الفتية) [*] هي من جاهرت بالعِداء والصراع مع الآلهة القديمة (العتيقة) [١] لكونها آلهة متطورة توالدت عبر الزمان لآلهة أكثر وهذه الآلهة الشابة تمتلك الحركة والعزيمة وتعتقدها الآلهة القديمة أنها أدخلت الضجة الى العالم بعد ان كان العالم ينعم – بحسب تقدير الآلهة العتيقة– بالصمت والظلام فالفرق بينهما هو الصراع والنزاع فيما بين الآلهة القديمة والآلهة الفتية وكل نوع منها يمتلك مقومات وخصائص تجعلها في مواجهة الآخر أقوى وهي كما موضح في الجدول التالي:

الآلهة القديمة (العتيقة)	الآلهة الفتية
تمتاز بالخمول (الركود)	تمتاز بالحركة
تمتاز بالسكوت (الصمت)	تمتاز بالضجة
تمتلك الفوضى	تمتلك نظام يعاكس الفوضى (عاصفة)
تمتلك الظلام	تمتلك النور
تمتلك الحكمة	تمتلك الطيش
تمتلك الرزانة	تمتلك التفاهة
تمتلك الهدوء	تمتلك الضوضاء
تحمل أسم الاشياء	لا تستطيع ان تحمل أسم الاشياء
لها مكاناً في العالم	ليس لها مكاناً في العالم
قادرة على تنظيم العالم من خلال الاقدار	غير قادرة على تنظيم العالم من خلال الاقدار
يقع على عاتقها توزيع الموجودات	لا تستطع توزيع الموجودات
تمتاز بالحركة المنظمة	تمتاز بالحركة الفوضوية
تمتلك الحكمة	لا تمتلك الحكمة
تمتلك العقل	لا تمتلك العقل

يُعد هذا الفارق بين ما تتصف به كلتا الإلهتين مدعا الى السباق فيما بينها والتصارع والتنازع ليصل بها الحال الى استخدام الوسائل التي من شأنها اشاعة الفوضى داخل المملكة الحاكمة للآلهة العتيقة والتي بدورها ستصل الى ما من شأنه إثارة بوادر العنف والغَضب تجاه الآخر

يكتُب (الاب سهيل قاشا) في مُلاحَظاته عَن (قَصيدة الخَلق) وبالذات في البُعد الفَردي من ان القَصيدة تُبَين " الصِراع الآخر الذي يَقودَه الفَرد ضد أُمه " [٢] هذا الصراع المُتمثل بقتل الأم لم يكن صِراعاً ، لكن بالمُصَطلح الآخر هو أقصى حالات العُنف باستخدام جريمة القتل بالاعتماد على النفس ، انها مرحلة تُمثل بروز اللوغوس في حياة سُكان بِلاد الرافدين ففي اعتقاد السُكان ان المرأة بمُجَتمعَها تُمثل حالة من السكون على عَكس المجتمع الذكوري الذي يمثله الرجل بحالة الحركة والتغيير فسيطرة الرجل على زمام الامور

[*] يمثل (تواجد الآلهة) في الحضارات القديمة ومنها حضارة وادي الرافدين ، الينبوع الذي انتهلت منه الثقافات والآداب الحالية موضوعاتها . وهو رأي فني سائد ، وليس بالضرورة هو اعتقاد الباحث .

[١] ينظر: صلاح سلمان رميض الجبوري و فاضل عبد الواحد علي : ادب الحكمة في وادي الرافدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد :٢٠٠٠، ص ٣٥.

[٢] الأب سهيل قاشا : تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت :٢٠١٠، ص ١١٥.

ماهي إلا مرحلة ظهور مراكز القوى الذكورية وسيطرتها على مقاليد الحياة ويمكن ايجاز اهم الامور التي من شأنها ابراز مظاهر العنف وذلك بـــ(قصيدة الخلق) متمثلة بالصراعات وهي :

١. معركة ضد الخمول والسكون وكذلك الفوضى التي كانت سائدة قبل مجيء الاله (مردوخ) .

٢. سيطرة الرجل على زمام الامور .

٣. هيمنة الذكورية على الانوثة .

٤. سيطرة مجتمع الحركة والتغيير- الرجل- على مجتمع السكون –الانثى-.

٥. الانتقال من مرحلة سيطرة الام الى مرحلة سيطرة الاب .

٦. التحول من النظام القبلي الى نظام الملك المطلق وهي سابقة خطيرة لم يحدث لها مثيل مـــن قبـــل وذلـــك بسيطرة الاله (مردوخ) على الحكم .

٧. الصراع المُتَمثل بِسيطرة دِيانة مدينة بابل وانتشارها على الدِيانات الاخرى التي كانت سائدة في تلك الحُقبة الزَمنية .

٨. النَسخ الذَي وقعَ لكُل الالهة بِصورة الاله (مردوخ).

٩. مقولة ان يَبقى ابناء الشعب المَغلوب على أمرِهم بالاحتلال من قِبل الآخر، ما هي إلا تَذكِرة منه بالبقـــاء ، وبقاؤهُ معناه تحيُّن الفرصة السانحة لتجدد الصراعات واختلاق الازمات ضد المحتل من اجـــل عـــدم ابقـــاء الاوضاع كما هي عليه بل ان روح الثورة والانتقام من كل ما من شأنه انزال الاذى وانزال قيمة الآخر هـــو ديدن من غُلب على أمره وهو بحد ذاته تجدد للصراعات واختلاق للأمور لصور العُنف .

ويستدرك(الأب سهيل قاشا) في مُستهل الحديث عن (قصيدة الخلق) بقوله عن أصل الخَلق بأنه " صِـــراع مُستَديم بين القِوى الدافِعة الى الحَركة والقِوى الدافِعة الى السكون "[١] يجد الباحث ان الصراع الذي أوجَدتـــه الالهة فيما بينها وعلى شتى صنوفه وتحت أي مُسمى ما هو إلا نزاع يجر جميـــع الاطـــراف المتـــصارعة والمتنازعة من آلهة فيما بينها او أي جنس آخر الى ايجاد البذرة الاساسية لحـــضور العنـــف مُتجليـــاً بهـــذه النزاعات والصراعات.

لم يَكن العنف فقط هو من كان حاضراً في الميثولوجيا الرافدينية وبالأخص (ملحمة الخلـــق البابليـــة) أو (الاينوما اليليش) بل يُذكر بـــ" استخدام العنف المفرط على شكل حروب شاركت فيها قوى كثيـــرة "[٢] هـــذا الرأي من قِبل مُؤلف الكتاب ما هو إلا نظرة منه صوب الصراعات التي أوجدت ملاحم بلاد وادي الرافدين ، مع العلم ان جميع هذه الملاحم والاساطير والقصائد التي انتجتها أقلام لأيادي مثقفي وأُدباء بلاد أعظم حضارة عرفها التاريخ عبر الزمن،تتناول من قريب أو من بعيد موضوعة العنف والصراعات والنزاعات التي كانـــت تدور في مجتمعهم،فلم تَزل الى يَومنا هذا تتناولها عقول المفكرين والباحثين العرب والغرب لثرائهـــا الغَنـــاء وحضورها المُتجدد على الصُعد الفَنية والثَقافية والادَبية كافة، ليس هذا الرأي وحَده من يتطرق الى اســـتخدام شكل الحروب كوجه من أوجه العنف المفرط بل نجد ان هُنالك رأياً آخر يذهب الى أبعد من هـــذا التنـــاول بالمُبالغة اللامعقولة في استخدام بعض الصفات ومنها القساوة والوحشية والقتل والتدمير وكذلك السبي فالعنف بصوره المُتعددة يكاد يكون صِفة مُلازمة للإنسان القديم – من وجهة نظر الكاتب بـــاقر ياســـين – ان هـــذه الصفات المُتسمة بالقَسوة والوحشية والقتل والتدمير والسبي تعدُّ في حد تطبيقها وممارساتها من الصفات التي

---

[١] الأب سهيل قاشا : تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت :٢٠١٠، ص ١١٤.

[٢] عزت عمر : ظاهرة العنف في الخطاب الروائي العربي ، كتاب دبي الثقافية ، ع ١١٨، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، دبي ، ٢٠١٤، ص ١٣ .

تؤدي الى اشاعة العُنف بين الاطراف المتصارعة وإلى المُبالغة بالعنف والمُبالغة بالقسوة والظلم والمُبالغة في الشراسة والدموية[١] ان الكاتب قد اتخذ من مسار المُمارسة العُنيفة الصُنع مَلاذاً للكِتاب عِبر سِفر تاريخ العراق منذ القِدم.

اما عند السومريون فتقع لدينا وثيقة تُعد من المدونات المهمة في التاريخ المُعاصر وذلك لما تمتلكه هذه الوثيقة من حقائق الامور للحياة القديمة مُتمثلةً بقانونها السائد وتعود الى سنة (٢٣٥٠ ق.م) وفيما بين سطورها المتعددة نجد فيها ملمَحاً للنِزاع والصِراع فيما بين السلطات مُتمثلاً بالعبارة التالية يوجد هنالك " صِراع مرير من أجل السلطة بين المَعبد والقصر" [٢] وفي مكان آخر من الكتاب نفسه نَجد ايضاً الصِراع والنِزاع حاضِرٌ في بلاد سومر بعد ان كلَف (أنليل) ملك الاقطار(أوتوحيكال) بتحطيم اسم الملك الكبير بعد ان " ملأ سومر بالعداوة " [٣] وهي مُتأتية من فعل الملك الذي دمر العائلات السومرية بسلب الذرية من الابويين وفصل الازواج عن زوجاتهم . ان العداوة التي أنشأها (أوتوحيكال) بهذا الفعل يمثل الفعل النزاعي والصراعي لحالة البلاد التي رزحت لمدة من الزمن تحت وطأة حُكمه، وهذا النزاع والصراع الحاصل بين الحاكم وبين ابناء الشعب يولد العُنف بأي شكل من أشكاله الشتى، كون ان الصراع بين طرفي المعادلة يُوجب تواجد الاحتكاك بينهم مما يؤدي الى نشوب الصراعات المباشرة او غير المباشرة وذلك عن طريق إضمار العداوة للآخر بغليان النفس الانسانية والتوعد بالانتقام من الآخر لحين حصول الفرصة المواتية .

والرأي ذاته نجدهُ عند الاستاذ (طه باقر) عندما يتكلم عن الفنون الآشورية والطابع الذي يتسم به وهو طغيان " تمثيل مشاهد الحروب والصيد والشؤون الملكية الاخرى مما يزين قصور الملوك كحِصار المُدن ودك الحُصون وتَهجير السُكان " [٤] ان هذا الرأي – تمثيل مشاهد الحروب– ما هو إلا دليل قاطع للحياة اليومية وما وجِد من أثر لهذه الحضارة يمثل يومياتهم وما آلت اليه أزمنتهم بتواجد الصراع والنزاعات في الحياة الآشورية وطرق تمثيلها من خلال الفنون التي اتسمت بها عصورهم الزمنية .

وفي مأساة دموزي (تموز) ونزول إنانا (عشتار) الى العالم السفلي يتضح في مقدمة القصيدة ان الاله (دموزي) بدأ يتحسس بأن مكروهاً ما واقع لا محال بل وان نهايته باتت قريبة وضاقت به الارض ذرعاً وأمتلكه الحزن والاسى وبدأ يجوب السهول مُنشداً الاشجار ان تُشاركه الحزن والاسى [٥]، نجد في هذه القصيدة عُنفاً من نوع جديد مُمثلاً بصراع بين الاله (تموز) وبين تلك المخلوقات التي لا تحب ان تأكل الطعام والشراب ولا تعتد بالنظام الذي كان سائداً في البلاد ألا وهم الشياطين ، انها قصة من نوع جديد يحظى بها الأدب الرافديني فالنهاية غير السعيدة في القصيدة أضحت مادة ثرية للكتابة في محتواها بعد ان كانت الطقوس الخاصة بالإله(تموز) تقام على ثلاثة محاور وهي :

١. المحور الاول : الاحتفال بمناسبة البعث .
٢. المحور الثاني : الاحتفال بمناسبة الزواج المقدس من الالهة (إنانا) .
٣. المحور الثالث : الحزن على موته .

---

[١] ينظر: باقر ياسين : تاريخ العنف الدموي في العراق ؛ الوقائع ، الدوافع ، الحلول(خمسة آلاف سنة من العنف المتواصل) ط ٢ ، للصحافة والنشر والتوزيع ، دار الكنوز الادبية ، دمشق :٢٠١٤، ص ٢٩-٣٠.

[٢] صموئيل نوح كريمر: السومريون ؛ تاريخهم حضارتهم وخصائصهم، ترجمة : فيصل الوائلي ، مكتبة الحضارات ، بغداد ، بيروت : ب ت ، ص ١٠٦-١٠٧.

[٣] صموئيل نوح كريمر: السومريون ؛ تاريخهم حضارتهم وخصائصهم، ترجمة : فيصل الوائلي ، مكتبة الحضارات ، بغداد ، بيروت : ب ت ، ص ٤٦٨-٤٦٩.

[٤] طه باقر: مُقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، دار الوراق النشر المحدودة ، بيروت :٢٠٠٩، ص ٥٩٤.

[٥] ينظر: فاضل عبد الواحد علي: عشتار ومأساة تموز ، سلسلة الكتب الحديثة ، ع ٦٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٧٣ ، ص١٢١.

ان المحور الثالث وبما يتعلق بالحزن والاسى على موت الاله (تموز) هو لب ما نصبوا اليه في البحث الحالي وكانت تقام هذه الطقوس من خلال الاحتفال بمراسيم تخص كل مناسبة من هذه المناسبات فالمحور الاول والثاني أي بما يتعلق بالاحتفال فيتم في موسم الربيع وهي دلالة على الخصب والنماء والازدهار الذي يشع في البلاد اما المحور الثالث فيتم في موسم الصيف وهي اشارة ضمنية واحالة الى اللهيب المشتعل جراء حرارة الصيف المُلتهبة،وتذكر لنا كتُب التاريخ بان الاثر الذي تركه الاله (تموز) بموته شكل الاثر الاكبر في اقامة الطقوس وليحتل هذا الاثر،اقامة مراسم الحزن السنوية في نطاق المعتقد الرافديني .

او نلمح ذلك الصراع الذي نشب بين (أنزو) حينما سرق الواح القدر من (أنليل) وحضور المغامر (نينورتا) وانتصاره على رغبة (أنزو) في السيطرة والعبث بالنظام المحيط بالإنسان – كما تعتقدهُ الاساطير الرافدينية القديمة – وهذا الصراع بطبيعة الحال ولد العُنف من خِلال السلوكيات المُتبعة لكل منهما ، فالرُعب الذي دبَ في،الآلهة بفقدان سُلطانهم– بفعل سرقة الالواح – وكذلك المعركة التي دارت رحاها ما بين الطرفين ومن وقف الى جانبهما[1]، استدعى حضور فعل العُنف والتجلي الاكبر له هو مظاهر المعارك الشرسة التي دارت بينهما وانتصار آلهة النظام على الهة الفوضى .

ومن ناحية التجسيد الفني لأوجه الصراع والنزاع وما يولد من عُنف مُتبادل بين الاطراف المُتحاربة فنجده بتصوير الحيوانات بشكل مباشر وهي في مواجهة الانسان (هذا رمز مرئي يصور فعل العُنف والصِراع ما بين الكائنات) فمنذ العصور الاولى او ما تسمى بـ(البدائية) نجد الفنون تُصور ذلك بـ(الرسم ، النحت المجسم ، النحت البارز وهو ما أشتهر به البابليين ، الاختام الاسطوانية) وغيرها من الفنون ، الحيوانات الاليفة وهي بمثابة حيوانات الرعي وبالمقابل الحيوانات المفترسة ، ان هذا التقابل ما بين الاليف والمفترس من الحيوانات التي كانت سائدة في عصرهم هي بمثابة تمثيل لطرفي النزاع المتحارب ، ويُذكر بأن اكثر الصور التي كانت تنقش على الاختام الاسطوانية شيوعاً هو تمثيل الصراع الذي يكون بين جميع انواع الحيوانات التي كانت مألوفة آنذاك ، ولكن صراع الانسان مع الاسد هو المسيطر دائماً بالمشهد التصويري ، وقد تكون بعض الاوقات تصور ان الاسد بدأ يرافق الانسان في رحلاته للصيد [2] واذا سلمنا بهذا الرأي فأن الصراع سينتقل ما بين الانسان والاسد من جهة والحيوانات التي يريد الانسان اصطيادها بمعية الاسد من جهة أُخرى ، وكان ضمن تراث الشرق القديم تحديداً ومنهم الرافدينون يصورون الثور كمصدر للخطر على الانسان ، او لربما كما فعل (مردوخ) حينما وضع شعاراً كتخليد لذكرى النصر على (تيامة) وهو التنين كرمز للقوة الاسطورية كواحدة من الافكار المخيفة عند البابليين .

مما لا ريب فيه ان تزايد ظاهرة العنف في المجتمع تُعد من الظواهر السلبية التي تُصيب النسيج المجتمعي، فليس ما يوجد أكثر رُعباً من الانتشار المُتنامي للظاهرة ، فالخصوبة اللا متوقعة تتجاوز حدود التفكير في نمو اللا منتظر بعد ان مست منظومة المجتمع العراقي وبدأت تتحرك في الاطار الذي تحويه هذه الظاهرة ، ويكمن الخطر هُنا في كون ان هذه الظاهرة بدأت تأخذ حيزاً وهذه المساحة التي استحوذت عليها بدأت قابلة للتصديق من قبل الآخر الذي قد يكون جاهلاً او غير متعلم أو انه قد غُلب على أمره بالتضييق لتصديق مثل هكذا أفعال لا تمُت للواقع بصلة لا من قريب ولا من بعيد بعد ان نهلت من الواقع ما هو بديهي وملموس في الحياة اليومية وكذلك انها– ظاهرة العنف واستشرائها في المجتمع– تمتاز بنوع من التلاحُم

---

[1] ينظر: عبد الرحمن عابو : البطولي في اساطير الشرق القديم وملاحمه ، منشورات علاء الدين ، دمشق : ٢٠١٤ ، ص٤٨.

[2] ينظر: اسامة عدنان يحيى : الآلهة في رؤية الانسان القديم ؛ دراسة في الاساطير ، اشور بانيبال للكتاب ، بغداد : ٢٠١٥ ، ص٦٧-٦٨.

الداخلي ، الذي يعمد صانعوه على تقوية بصائره،والذي يوهم المُقابل بمشروعية طروحاتها داخل المجتمع فاذا جاز التعبير فأنها تقوم بفعل التخدير الموضعي لمنابع الحس السليم وأيهامه بالمشروعية الحقة التي تتمتع، فالأمر يبدو للباحث أكثر استحواذاً في القبول من عدمه لكون ان المجتمع بدا واضحاً بالدخول في نفق عميق- تداعيات ما يُسمى بالعولمة – تبدو فيه مظاهر النور واضحة وجلية لكن المناطق السوداوية فيه ، ان ما يُكرسه الخِطاب النَخبوي الذي شرّعه مَنطق الاقوياء من آلهة حضارة بلاد وادي الرفدين في ملاحمهم واساطيرهم وقصائدهم هي من جلبت في جلبابها تلك النزاعات والصراع على السلطة رغبةً منها في الاستئثار بالسلطة وتبوء موقع الصدارة في اروقة وبلاط امهات آلهة حضارة بلاد وادي الرفدين وعليه اصبحت الساحة الصراعية مدعاة لحضور كل ما من شأنه تأجيج الصراع فيما بينهم وبالتالي شهِدت ساحاتهم ظهور الجريمة والقتل واراقة الدماء مما اشاع ظهور بوادر العنف بين امهات الآلهة والآلهة القديمة وحتى الصغيرة او الجديدة منها ، بعد ان كانت تلك الآلهة تتمتع بالحضور القوي بين الآلهة الصغيرة أو المستحدثة التكوين اما ما كان يجري من صراع بين الابطال والآلهة ما هو إلا صراع من نوع خاص تخوضه تلك التيارات الجديدة – ان صح التعبير – مع الآلهة القديمة التي كانت تتماز لدى عامة الشعب بالحضور القوي والمؤثر بعد ان استحوذت على مقدراتهم الشخصية بالتقرب الى الآلهة عن طريق :

١. تقديم القرابين .
٢. تقديم النذورات بشتى أصنافها .
٣. استحواذ الكهنة على السلطة واعطاء الصورة الى افراد المجتمع بانهم من يقربوهم الى الآلهة دون غيرهم.
٤. الايعاز الى المقربين من الكهنة بمسك زمام الامور الادارية في البلاد من دون غيرهم من افراد الشعب .
٥. الطاعة العمياء بالعبادات الدينية وفي الطقوس .
٦. الاستعلاء على افراد الشعب بالرضوخ والقبول والابتعاد عن كل ما من شأنه اغضاب الآلهة– الرفض – .
٧. ترك عبادة الآلهة الصغيرة والارتباط بالآلهة القديمة كونها ذات تأثير اقوى في صناعة القرار .
٨. الاستعداد لأداء اي مُهمة تُناط من قبل الآلهة الى اي فرد .
٩. القبول بالحكم الذي تصدره الآلهة من على لسان الكاهن في البت بأي امر من أمور الحياة .

هذا هو ديدن الآلهة القديمة في الاستحواذ والشمولية ومنها جعل الافراد تابعين لها في كل شيء فهي من تختار الملوك " وقد كان الملك مخولاً بممارسة الصفات الملكية بإذن الآلهة "[١] فكان (انليل) ومنذ الازمنة القديمة يعُد ملك البلاد وأُعتُرف به من أنه ملك الآلهة حتى في آشور حيث اصبح الملك الآشوري الوطني متمثلاً به فالملكية هي احدى المفاهيم المهمة في حضارة وادي الرافدين وهي احدى العطايا التي يقدمها الآلهة ليهبها الى الشعب فهي نزلت من السماء زمن الطوفان الى الارض ، فالملك هو صلة الوصل بين الآلهة والشعب الذين خلقتهم الآلهة ليعبدوهم ويخدمونهم وبذلك يكون ممثل الشعب عند الآلهة ، فالآلهة المُستحقة تقوم بالتالي:

١. استلام الايجارات من الافراد .
٢. استلام كافة الخدمات من الافراد.
٣. استلام الاستحقاقات من الافراد .
٤. تقديم القوة والعون للبشر .

---

[١] هاري ساغز: عظمة بابل ، ترجمة : خالد اسعد عيسى و احمد غسان سبانو ، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق : ٢٠١١ ، ص ٣٧٧.

فالبشر في نظر الآلهة مخلوقين لإعفاء الآلهة من الاعمال الشاقة وتحملهم الاعباء القاسية كافةً لإبعاد الاذى وكل شيء ذي جهد وتعب عن الآلهة.

المبحث الثاني:أنماط إدراك السلوكيات الانسانية

في موسوعة علم الاجتماع لـــ(جون سكوت وجوردن مارشال) وتحديداً في الجزء الثاني لا يُعرفان العنف بصورة مُستقلة وانما يميلان مباشرة الى تقسيم العنف الى نوعان وهما [١] :

١. العنف الأُسري: وهو العنف البدني أو النفسي الذي يمارسه الرجل ضد المرأة ، وهذا العرض من خـــلال الصيغة التي وضعها مؤلفا الكتاب وجد حاضنة واسعة بالأخص عند الحركة النسوية بعد ان جـــاء التعريـــف لإنصاف النساء دون غيرها من أفراد الاسرة وكأن الرجل والاطفال ليسوا من أفراد الاسرة ، بعـــد اســـتبعاد الطفل خارج التعريف المذكور لان العنف الذي يسري عليه داخل الاسرة يسمى (انتهاك للأطفال) أو (إساءة المعاملة)،ويبقى الصراع المتُأزم بين عنف الرجل للمرأة أو حتى لا يستبعد الباحث العنف الصادر مـــن قِبـــل المرأة ضد الرجل .

٢. العنف النقابي:يُشير المصطلح الى حقبة مرت بها النقابات العمالية الى الاضطهاد الـــذي مُـــورس ضـــدها بعدها استخدمت نفوذها الميداني للنضال من اجل حقوقها المُنتهكة والمسلوبة في أحيان أُخرى ، وهو جانـــب كيفي لقوة أو حتى ضعف النقابة مقابل اكتمال كمي تستطع النقابة ان تُحققه . إن هذا التقسيم من وجهة نظـــر الباحث تُعزى الى المفاهيم الاجتماعية المحدودة وليست تلك التي تتمتع بالحضور الاقوى والموسوعية الاشمل والتي هي :

اولا : العنف من حيث النوع :

١. العنف الجسدي .
٢. العنف اللفظي .
٣. العنف الرمزي .
٤. العنف السيكولوجي .

ثانيا : العنف من حيث المهنة :

١. العنف الاجتماعي .
٢. العنف الثقافي .
٣. العنف النفسي .
٤. العنف الاقتصادي .
٥. العنف السياسي .
٦. العنف الديني .
٧. العنف التربوي .
٨. العنف العسكري .

ثالثا:العنف من حيث القوة :

١. العنف البسيط وأهم وسائله هي:

---

[١] ينظر: جون سكوت و جوردن مارشال : موسوعة علم الاجتماع ، مج ٢، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون ، ع ١٨٧٧، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة : ٢٠١١ ، ص٤٨٢.

أ. جذب الطرف الآخر بعنف متعمد .

ب. استخدام الادوات التي يمتلكها ذات المهاجم او المدافع ، للدفاع عن الذات .

ت. زج الآخر بمنزلق اللاعودة بمادة هي من عندياته

٢. العنف الجسيم وأهم وسائله هي :

أ. استخدام الادوات والمعدات للدفاع عن الذات.

ب. الترهيب والتخويف للطرف الآخر .

ت. استخدام اي قدرات تمكن المهاجم من الدفاع عن الذات وايجاد الوسائل التي من شأنه تحقيق الانتصار للذات المهاجمة .

رابعا : العنف من حيث المصدر او المتلقي له :

أ. العنف الفردي (وهو الصادر من شخص واحد فقط لا غير) ويسمى ايضاً بالمتسلط الانوي.

ب. العنف الجماعي (وهو تطلع مجموعة من الافراد في استخدام العنف كوسيلة للوصول لغاياتهم) ويسمى بالمتسلط الجمعي.

وجميع انواع العنف السابقة الذكر، تتبع احد الاسلوبين التاليين كمظهر للعنف وتجلياته في المجتمعات:

١. الاسلوب المادي للعنف .

٢. الاسلوب المعنوي العنف .

اما الاسباب التي تدعو الى ازدياد او الاستمرار باستخدام الظاهرة المُعنفة فهي :

اولا : الاسباب الاقتصادية ونعزوها الى:

١. ازدياد الفقر.

٢. تفشي البطالة .

ثانيا : الاسباب الاجتماعية ونعزوها الى:

١. التفكك الأُسري.

٢. الخلافات الزوجية .

٣. ضعف البنية الاسرية .

٤. العُزلة الشخصية .

٥. الانطواء والاكتئاب .

ثالثا : مفاهيم التنشئة الاجتماعية الخاطئة

وتقتضي استخدام قدر من العقاب الجسدي أو اللفظي اتجاه الفرد او الطفل والتي لا تأتي أُكلها جيداً كونها تبتعد عن الاساليب الصحيحة للتربية الناضجة،وغياب الوعي بالأساليب التي من شأنها إقامة تنشئة جيدة .

رابعا:وسائل الإعلام

لعل صناعة البرامج المليئة بمظاهر العنف والتعسف والقسوة هي من تُرمي بظلالها اليوم على المشهد الحياتي للمجتمع الانساني .

كل هذه العوامل الاربع هي من تُغذي اليوم الفرد او المجاميع بالشحن الذي يلعب الدور الاكبر في الصناعة العُنفية، ان العنف بما هو عنف فهو سلوك دفاعي للشخص عن السلوكيات المبغوضة من قبله، وهنالك نظريتان سائدتان في العنف وهما :

١. نظرية التحليل النفسي : والتي تعُد العُنف هو نِتاج الغَريزة وهي اصيلة لدى الانسان وقد تفترض هذه النظرية وجود دوافع غريزية متعارضة اهمها غريزة حفظ الفرد وغريزة حفظ النوع .

٢. النظرية السلوكية : أن العنف وبحسب هذه النظرية هو سلوك مُكتسب يتعلمه الفرد من خلال المجتمع الذي يعيش فيه والتجارب الحياتية في المراحل الاولية للطفولة ، فاذا ما وجد الطفل هذه السلوكية العنفية في المراحل الأولى من حياته فانه سوف يمارس هذا السلوك لاحقا مع غيره.

ان العنف الذي يستشري عبر الازمنة بشتى الاشكال والصنوف ما هو الا صورة مُكررة لـ:

١. الحرب .

٢. النزاع .

٣. الصراع .

٤. المواجهة .

تقول (حنّة أرندت) في كتابها وبعد ان استعرضت تجربة (فانون) في العنف وممارساته الحياتية سواء بين الافراد انفسهم ام بين الفرد والمجموعة ام بين المجاميع انفسها ، ان (فانون) يحاول مدح العنف وممارسته بعد ان اجتهد في وصف العنف بأنه عنصر من عناصر الحياة اليومية ، ونمت الحياة ماهي إلا صراع متواصل لا يكل [١] ، من ان العنف وثمة ثلاثة جوانب يمكن ان تُأسس للمشروع العنفي وهي [٢] :

١. تقديم مشروعية العنف لذاتها بوصفها عاملاً مسهماً رئيساً في اعادة صياغة الافكار والنماذج السلوكية للأفراد والمجيء بها من الماضي .

٢. مخاطبتها مشاعر التلاحُم الاجتماعية القوية المستندة اما الى التفوق الذي يمتاز به الافراد واما الى معاناتهم الناجمة عن مواجهات سابقة .

٣. تقديمها لذاتها بوصفها الطريق الانسب والاكثر مُباشرة لتعزيز مصالح الافراد التي نشأت بفعل الآليتين المذكورتين اعلاه .

اما خصائص المتخيلات العنفية فهي :

١. الهيمنة البنائية والتي تتألف من الانا والآخر .

٢. تماهي الانا وسموها الى العُلى بالتقدير الفردي ، وهنا يحدث ما لا يُحمد عقباه في وقوع الصراع والنزاع بين الأطراف المتصارعة .

٣. لا تُعد هزيمة أي طرف من الاطراف المتنازعة هي بمثابة نقطة التحول للمهزوم في الرجوع الى التفكير بالتراجع عن مواقفه او استدراك الامور والاعتراف بالهزيمة التي حلت به .

٤. لا يُعد انتصار اي طرف من الاطراف المتنازعة هو بمثابة نقطة الارتكاز كطرف قوي بالنزاع وفرض القوة على الطرف الخاسر .

٥. مجتمع ما بعد الصراع والنزاع والحرب يُنعت بصيغ مُختلفة ، فإما المُنتصر يضع الشروط اللازمة لانتصاره والحاق الاذى ومرارة الهزيمة والانكسار بالطرف الخاسر ، اما الطرف الخاسر من النزاع والصراع والحرب فيعمل على جر ذيول الهزيمة وطعم الانكسار.

والفعل العنيف الذي يصدر من الافراد يمتاز بجملة من الخصائص المميزة له من اهمها [٣] :

---

[١] ينظر: حنّة أرندت : في العنف ، ترجمة: ابراهيم العريس ، دار الساقي ، بيروت : ١٩٩٢ ، ص٦٢.

[٢] بتينا أي. شيدت و انغو دبليو شرودر: انثروبولوجيا العنف والصراع ، ترجمة : هناء خليف غني ، بيت الحكمة ، بغداد : ٢٠١٢ ، ص٢٥.

[٣] ينظر : بتينا أي. شيدت و انغو دبليو شرودر، انثروبولوجيا العنف والصراع ، مصدر سابق ، ص٤٢-٤٣.

١. الصراع:ان عملية التنافس التي تقع بين اطراف النزاع تُشعل عملية التنافس بالتناقضات والمتضادات بين الاطراف .

٢. المواجهة:تُعد هذه الخصيصة حاصل تحصيل للفعل العنفي من وجود طرفي نزاع وبطبيعة الحال ان تُصبح هنالك مواجهة بينهما .

٣. الشرعنة:عدَّ العنف مساراً مشروعاً للفعل الصراعي ، بإضفاء الصفة الرسمية لهذا الفعل .

٤. الحرب:اذا ما تم اجتياز المراحل الثلاث من قبل طرفي العنف من دون الصلاح والاصلاح فان هذه المرحلة لا محال واقعة بممارسة الفعل الصراعي كوسيلة لتحقيق المآرب والغايات التي يصبوا لهل اطراف النزاع .

ونجد ان ثمة أمور اذا ما تم اتباعها ستأتي ثمارها في المجتمع بالابتعاد عن العنف واساليبه المختلفة واهمها :

١. ان يتم عرض الامور التي من شأنها اعطاء الصورة الصحيحة في المجتمع انطلاقا من مبدأ التعلم والمحاكاة للواقع الحياتي .

٢. رفض اشكال العنف المجتمعية كافةً لإعطاء الصورة الجيدة عن تقاليد المجتمع .

٣. التقليل من التعرض لمشاهدة الإعلام المُعنف – ما يعرض من شاشة التلفاز والانترنت والوسائل الاخرى كافة – لان التعرض لها بكثرة يوقظ المشاعر ويحفزها.

ولان العنف هو مُمارسة جسدية ولفظية تُعبر عن شَكل العِلاقة بَين طَرفي نزاع ، فهنالك انعكاسان رئيسان في ضوء انعكاسات سيميولوجيا الثقافة على موضوعة اللغة المؤسسة للعنف النصي وهُما :

١. تحديد النص المؤسس على أنه نص ذو ترميز جماعي تتدخل فيه إلى جانب ترميز اللغة الطبيعية ، المعايير الأدبية الجوهرية ، وتحمل قيماً داخل ثقافة أدبية ، والقواعد والمعايير والقوانين الثقافية ذات الطابع الفني والإيديولوجية .

٢. التأكيد على أن النص الأدبي يُنَمي الوظيفة الإدراكية والمعرفية.

ان الانتاج المُعنف عبر العصور تناقلته لنا الكتب التي ارخت الى المنجز الادبي لكل حقبة زمنية اما عن طريق السرد للأساطير والملاحم والقصائد والمنجز المرئي له عبر منافذه المتعددة وما يهمنا في البحث الحالي هو المنجز المسرحي بشقيه النصي والمؤدى دراميا (مرئياً) ان الثقافات لها الدور البارز في التنشئة الاجتماعية وبروز مثل هكذا مفاهيم في المجتمعات وبالأخص تلك التي تُعاني من عدم الاستقرار الاجتماعي وتلعب التقلبات البيئية باجتماعياتها الدور الاكبر في بلورة مثل هكذا مفاهيم لها الحظوة في الحضور والتعايش المجتمعي البعيد عن السلمية ، وهو ما نسعى له عبر هذه الورقة البحثية التي ما انفكت في البحث عن العنف وسلوكياته في المدونة المسرحية. فتُعد ظاهرة استشراء(العنف) في المجتمعات من الظواهر التي مُورست في المجتمعات بشكل مختلف عن جميع الظواهر الاجتماعية ذات الطابع الانساني الاخرى، ولعل مُمارستها في المجتمع الواحد يختلف بين حينٍ وآخر وبحسب ثقافة المجتمع الذي تُمارس فيه مثل هكذا ظواهر اجتماعية تمتد عُمقاً فيه وتؤثر في نسيجيه الاجتماعي.

ولان المُمارسة الجسدية واللفظية التي تعبر عن شكل العلاقة بين طرفي النزاع وكيفية فهم الاسلوب الفردي والشخصي بالتوظيف الانساني للنظام العلاماتي والاشاري المُصطنع في معرفة نسق العلامة التي تحمل ما تحمل من رموز وإحالات، واحدة من الامور الضرورية في فهم النسق الوظيفي للعلامات والرموز الانسانية التي غالباً ما تكون مُعبأة بأحمال ثقيلة جداً من الرموز، فباختلاف مصادر العنف ودوافعه ستختلف

المواقف الفردية والجماعية فكريا واجتماعيا وثقافيا ، فهي في مُجملها عملية البحث الحالية ومنه سننطلق في البحث في غمار هذا المفهوم في تجربة المدونة المسرحية في الفصل الثالث .

الفصل الثالث/إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث: يشتمل مجتمع البحث على جميع النصوص المسرحية المؤلفة من قبل الكتابة العراقية (آمال كاشف الغطاء) مُشكّلة بذلك مجتمع البحث الحالي.

ثانياً: عينة البحث: اعتمد الباحث في استخراج العينة بالاعتماد على الطريقة القصدية في اختيار عينة البحث الحالي وهو نص مسرحية (قابيل يعود من جديد)[*] لمواءمته مع موضوعة البحث.

ثالثاً: منهج البحث:تم اختيار المنهج التحليلي الوصفي لتحليل عينة البحث الحالي، بوصفه الطريقة الاقرب، للتحقق من انماط لغة العنف سيميولوجياً والذي تنطوي عليه خصوصية الفرد.

رابعاً: تحليل عينة البحث

نص مسرحية (قابيل يعود من جديد)

لعل اصالة الفن العراقي تنبع من صدق الكاتب ومدى ادراك وجدانه لما يدور حوله من احداث ليعبر عنها، فذاتية المؤلف وفعل التُراث وواقعه في النفس البشرية تُحتم عليه الجمع ما بين الصِبغة المحلية والعالمية؛ لإبراز اثر فني صادق واصيل يُظهر صور العنف الذي يتعرض له البلد وباستمرار، فقد سعى الكاتب العراقي– من وجهة نظر الباحث– الى معالجة مشاكل العصر على وفق طُرق مُختلفة بالتنفيذ وبآلية فكرية نابعة من واقع الثقافة والاطلاع على الوضع العراقي الراهن وما يمر به من ظروف صعبة مع متابعة الاكتشافات العلمية لمواكبة التطور التقني الحديث. فالفن المسرحي من المجالات الفنية المهمة التي يجب علينا تأكيد وجودها في الحركة الفنية العراقية المعاصرة، وأن آلياته المختلفة من حيث المستحدثات والوسائط المتجددة تؤكد مدى انعكاس ذلك على تطور الحركة المسرحية العراقية المعاصرة والدور الفاعل الذي يمثله هذا الفن منذ بداياته الأولى للظهور، وقد استطاعت الكاتبة (آمال كاشف الغطاء) وفي نص مسرحية(قابيل يعود من جديد) الى استحضار ذلك العُمق السيميولوجي لدى الفرد العراقي خاصة والعالمي عامةً من خلال الوظيف الانساني للإشارة والترميز العلاماتي لِما تحمله شخصية (قابيل) من رموز اشارية وعلاماتية، وكيفية فهم الاسلوب الفردي لفهم النسق العلاماتي المُرمز لهذه الشخصية، فهي شخصية كارزماتية مُعبأة بطيف المُمارسة الجسدية المُفعم بتلك العلاقة التي اودت بمُمارستها للعنف الى ابعاد الآخر (هابيل)، والذي لم يتم ذكره على طوال مساحة هذا النص المسرحي، عن المسرح لا بل والابتعاد الى اكثر من ذلك الفعل بالمواراة للجسد الآخر بعيداً عن الانظار عن طريق (الغُراب) وهذا المشهد الذي جلب الندامة اكثر فاكثر الى (قابيل) بعد مُشاهدة ما يفعله (الغُراب) بجسد اخيه، ان هذا الامتداد السيميولوجي لعمق الفعل العنفي ظل مُترسخاً في العقل الجمعي للإنسانية قاطبةً وعلى مدى العصور ولجميع الاجيال التي عاشت على وجه المعمورة، فللدربة العالية التي تمتلكها كاتبة هذا النص المسرحي هي من جعلت من النص المسرحي مساحةً رحبةً للتعرض الى مثل هكذا موضوعات قد يجدها بعضهم استُهلكت منذ زمن ليس بالقريب وعلى الرغم من ذلك فقد اجادت الكاتبة والمؤلفة لنص مسرحية(قابيل يعود من جديد) ايما إجادة– في اعتقاد الباحث– ويُلحظ ذلك بايجاد الصور المُستحدثة لقابلية الادراك الاسلوبي لكل علامة من علامات النص المسرحي الذي ما انفك يُتحفنا بين

---

[*] آمال كاشف الغطاء : مسرحيات ، سلسلة الابداع المسرحي ، العدد ١٧، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ٢٠١٥ ، مسرحية قابيل يعود من جديد ، ص٥-٨٩.

الحين والآخر بكل تلك الصناعة المسرحية لكامل الفن ومُبتغاه في حين عمدت المؤلفة للنص المسرحي على التوظيف الانساني لكامل القصة المعروفة والمُعرفة لدى عامة الناس

وتبقى حِبكة مَسرحية (قابيل يعود من جديد) تدور حول حُلم وطموح (قابيل) وهو العودة إلى الجنة التي يُريدها ويطمح لها، وكان يشد على أعباء الفشل الذي اصابه هذه هي نظرة اولية لسيميولوجيا الفعل الدرامي لمسرحية (قابيل يعود من جديد) ونمط ادراكي الى لُغة العُنف ومن خلال هذا النص،

" **قابيل: ..اردت معرفة الشعور باللذة والمتعة والفن والجمال واحترقت بأتون الشهوة واكتويت بنار الرغبة.** " [١]

انه اعتراف من قابيل بأنه سلك طريقاً غير تلك التي هي بداخله

" **قابيل: ... انه صراع بين جسدي وكل ما هو حولي** " [٢]

إنما حوارات (قابيل) مع (حواء) التي هي أمه ما هي إلا تمرد على الواقع واشارة واضحة لممارسة العنف بشتى الانواع والاصناف ورسم نمط لرؤية ادراكية نابعة من الشهوات والملذات لُغةً لعُنفها الذي تبغي مُمارسته، بعد التمرد على جميع القوى سواءٌ الانسانية أم غيرها من القوى الاخرى والتي يعتقدها (قابيل) انها تعترض طريقه في الحصول على ما يريد من ملذات وشهوات وكما هو واضح في الحوار التالي:

" **حواء: لماذا تُحطم وتُدمر وتُجزأ** " [٣]

ان شخصية (حواء) تريد بالحوار السابق ان تُقنع (قابيل) بان لا تمتلكه العصبية والقوى الشريرة والاحتكام الى العقل لا الى الفوضى لأنها السبيل والخلاص من كل ما يُحيط بالإنسان

" **قابيل: (يضرب الارض بيده) ..أني أحس بالحاجة لأعمل شيئاً لأن أجرب لأن أتحدى** " [٤]

" **قابيل: (يشيح بوجهه بعيداً) سأمت من الارض والمعول ومن الانتظار اللا معنى ولا هدف ولا غاية منه** " [٥]

(يضرب الارض بيده تخدش ويسيل منها الدم يقرب يده من فمه ويتذوق الدم)

" **حواء : (تصرخ بذعر) ولدي ... هذا... دم** " [٦]

ان الذعر الذي أعترى (حواء) جراء مشاهدة الدم يسيل من يد (قابيل) ما هي إلا صرخة الام صوب ابنها الذي يتخذ من العنف بشتى الاصناف صوراً لحياته بدلاً من ان تكون حياته ملأى بالود والحب للآخر، فهذا العنف الذي يكنه (قابيل) لمفاصل الحياة كافة، عند الكاتبة(آمال كاشف الغطاء) ما هو إلا تعبير لتلك الشخصية التي تمتلك ذلك الحضور القوي من انها الشخصية التاريخية التي مارست العُنف ضد أقرب الناس منها وأنها ايضاً المعروفة بالتزمت بالرأي وعدم قبول الرأي الآخر

" **قابيل: هذا ليس دماً فقط هنالك شيء آخر.** " [٧]

... " **قابيل: الم ماذا يعني الم، منظر رائع الدم يختلط مع الالم الدم نتاج الالم أم الالم نتاج الدم** " [٨]

---

[١] آمال كاشف الغطاء: مسرحية قابيل يعود من جديد، مصدر سابق ، ص٩.

[٢] المصدر السابق ، ص٩.

[٣] آمال كاشف الغطاء : مسرحية قابيل يعود من جديد ، مصدر سابق ، ص١٠.

[٤] المصدر السابق ، ص١١.

[٥] المصدر السابق ، ص ١١.

[٦] المصدر السابق ، ص ١١.

[٧] المصدر السابق ، ص١١.

[٨] المصدر السابق ، ص١١.

لم يكن العنف يوماً من الايام إلا طبعاً انسانياً يستخدمه الانسان لتحقيق اغراضه الشخصية والتي يرجو فيه ارضاء رغباته الانوية التي غالباً ما تكون بعيداً عن توجهات المجتمع، وإلا ما الذي يجعل الفرد الانساني يصل الى مرحلة استخدام العنف؟ (وهو من الظواهر الاجتماعية التي لا تُلاقي مقبولية اجتماعية داخل المجتمعات)، انها الرغبات غير المرغوب فيها داخل المجتمع والتي يمكن الوصول اليها عن طريق استخدام الوسائل غير المشروعة او غير المرغوب فيها اجتماعياً.

" **قابيل: ... لن أهدأ...ولن أستكين...سأبحث عن هذا الاحمر القاني ...** "[١]

ان شخصية (قابيل) انما ارادت بهذا الحوار المسرحي عدم الهدوء والاستكانة لِما هو واقع واللجوء الى ما هو ابعد من حيث التقدير الانساني فهو يريد السيطرة على مقدرات الاشياء بكل الجوانب الحياتية وابعاد ما هو اقرب فاقرب من حيث المنافسة فهو يريد اطفاء اشعة الشمس لا بل ومنعها من دخول البيوت والمعابد املاً منه في السيطرة على كل شيء ووصول اثره الى ابعد نقطة في المعمورة

" **قابيل: اغطي به جنبات دجلة والفرات واوشح نساءها بالسواد، اصبغ الوجوه الكالحة ببصمات الجوع والمرضى والاسى واغمر الاجساد اليانعة ببصمات الاهواء الثأرية التي تسير على غير هدى...أطفئ اشعة الشمس وامنعها من الدخول الى الهياكل والمعابد حتى لا ينقطع سبيلي ولا يخفى اثري**"[٢]

هي دعوة ارادها شخصية (قابيل) بوصول اثره الى ابعد نقطة والى كل نقطة جهد الامكان من خلال نشر الاحمر القاني (الدم) ونشره بنهري دجلة والفرات – الدعوة عراقية المكان لكنها عالمية الفعل– وما فعل ارتداء السواد للنسوة الا علامة بارزة جداً بالتخلص من الآخر باستخدام وسائل العنف والاضطهاد، اما الاهواء الثأرية التي ارادها شخصية (قابيل) فهو فعل الانتقام الذي كان مستشرياً في المجتمعات القبلية –التي تتقبل قتل الآخر على اساس انه قتل اولاً– وهو طبع بدائي سائد ايام الجاهلية الاولى.

" **هابيل: مالك متوتراً غاضباً لا تحمل معولك ومنجلك لتلوح بهما** " [٣]

هي دعوة في الحوار السابق من لدُن هابيل لإكمال المُمارسة التي جيء بها من قبل شخصية (قابيل) فالأدوات التي ارادها شخصية (هابيل) ان تُحمل من قبل شخصية (قابيل) وهي (المعول والمنجل) هي ادوات لإنجاز واتمام عملية القتل من خلال الحفر لا ان يأتي (الغراب) وهو من يقوم بهذا العمل، وكأنها لحظات العتاب بين الاخوة.

" **هابيل: سترى انه الزمن العدو الذي يتعقبنا بفراغه ليقضم حياتنا سننتصر على الزمن سنحول الزمن الى احداث ولا ندعه يتحكم بنا سنحول الارض الى جنة وسيقف الزمن مشدوهاً امام سيل الاحداث** " [٤]

في هذا الحوار نجد ان شخصية (هابيل) وهي الشخصية التي وقع عليها العنف والعداوة تدعو الاخ وهي شخصية (قابيل) الى الاحتكام الى العقل لا الى الاهواء الشخصية والنزوات الانوية التي ابعدت الاخ عن الاخر بفعل العنف ووسيلة القتل

" **(قابيل يأخذ بخناق هابيل ويصرخ)**

قابيل : انت عقبة امامي اريد ان ارجع اريد ان اعود القهقري الى الجنة انا اعرف طريقي جيداً " [٥]

---

[١] آمال كاشف الغطاء ، مسرحية قابيل يعود من جديد ، مصدر سابق ، ص ١٢.

[٢] المصدر السابق ، ص١٢.

[٣] المصدر السابق ، ص١٢.

[٤] المصدر السابق ، ص١٢.

[٥] المصدر السابق ، ص١٧-١٨.

ان شخصية (قابيل) بالفعل يريد الرجوع الى المكان الاجمل في الكون لمعرفته التامة بماهية هذا المكان الذي يرنو اليه بعد ان ابتعد عنه بفعل او بآخر وكان العنف الذي استخدمه واحداً من تلك الاساليب التي ابعدته عن الجنة.

" هابيل: يا عزيزي لماذا هذا التشاؤم ؟ خرجنا من الجنة لتحقيق ذاتنا " [1]

في الحوار السابق هو المخاطبة التي اعتدنا عليها من الاخ الاكبر الى الاخ الاصغر او تلك التي تدعو الاخر الى التعقل والابتعاد عن كل ما من شأنه اثارة حفيظة الاخرين ضد الفعل الذي يقوم به.

وهذا الجدول رقم (١) يترصد اغلب حوارات نص مسرحية (قابيل يعود من جديد) والتي تحمل في طياتها البُعد السيميولوجي لأنماط الإدراك العُنفي.

جدول رقم (١)

ت	الحوار النصي الذي يحمل في طياته لغة العنف
١	**" قابيل: (ساخرا) لمن قدمت العهود والمواثيق ليتحكم بنا " ص١٥**
٢	**" قابيل: ...اين السعادة ؟ اين الرفاهية ؟ اين السجادة الحمراء والتاج والصولجان " ص١٥**
٣	**" قابيل: ماذا افعل بجنتك بعد ان نخرتٍ عظامي وانحنى جسدي ولم اعد على صفحة الوجود اريد ان اكون شيئا ينحني له الاقوياء " ص١٦**
٤	**" قابيل: سأذهب لأجلب النذور واقدمها الى الرب " ص١٦**
٥	**" قابيل: انت ترعى الخراف وانا الذي يصارع الارض واحاور الرياح لتجلب المطر..." ص١٧**
٦	**" قابيل: ... اريد ان ارى منظر الدم " ص١٨**
٧	**" قابيل : ...اريد معرفة لغة القتل " ص١٨**
٨	**" قابيل: ...ابليس لقد تعهد بان يتربص ببني البشر ويسوقهم الى الهلاك، هل تريد ان اتركك لتفعل الشيء نفسه " ص١٨**
٩	**" قابيل: ...والآن ليس بيننا ادم نحن هنا وجها لوجه، دعني انفذ ما اريد لا تشغلني بالكلام اللامعنى له اريد ان ارى الدم اني اتحرق لرؤياه " ص١٩**
١٠	**" قابيل:...ابليس كان جبانا ومخادعا كان عليه ان ينفذ ارادته ويلغي وجود ادم اما انا فسأعرف كيف اجد اللذة والنشوة " ص١٩**
١١	**" قابيل:... لقد عثرت عليه الدم... " ص١٩**
١٢	**" (قابيل يتذوق دم هابيل ويرقص حوله ويدور) " ص٢٠**
١٣	**" قابيل: سيتغير كل شيء وتحل الجنة سيتغير لون الارض وتصبغ باللون الاحمر سترتدي الارض حلة ارجوانية " ص٢٠**
١٤	**" قابيل: ...وعلى اعدائي سيسقط المطر الاسود واحجار النيران وتعمهم الاوبئة والامراض والجفاف سيأكلون الكبريت ويشربون النفط الاسود " ص٢١**
١٥	**" قابيل: ...دم هابيل يغلي ويفور وقد تغير الطعم وتغير اللون ... " ص٢١**
١٦	**" قابيل: ...ارقص يا جنيات مكبث ورتلي يا الهة الظلام ودق مساميرك يا يهوذا وانفث سمومك يا ابن ملجم واغرز سيفك يا ابن جوشن واحرق الخيام يا ابن سعد فهذه حفلتنا الكبرى الجنة باتت قريبة " ص٢٢**
١٧	**" حواء : قابيل هل ترضع الذئاب ام تسرح مع النسور، هل تنام في احضان الاسود " ص٢٣**
١٨	**" قابيل: " ص**

وفي سؤال شخصية (حواء) عن احدى النساء اللاتي فقدن خصلة من شعرهن عن الاسباب التي ادت الى ذلك الفعل الشنيع والمروع اجابتها بان زوجها هو من فعل هذا الفعل ليدلل على قوته

" حواء : اين شعرك الجميل الطويل الذي يستر جسدك بلا حياء " ص ٢٤

"امرأة (١): زوجي مسكني من شعري واخذ يدور بي عكس عقارب الساعة ولم يكتفِ حتى اقتلع خصلة من شعري " ص٢٤

[1] المصدر السابق ، ص١٤.

وكأننا في تعليل الاسباب الموجبة (إن صح التعبير) لتعنيف الزوجات من قِبل الأزواج، فالزوجة تبرهن على انها لم تقترف اي ذنبٍ صوب زوجها لكن هو من اراد ان يثبت قوته البدنية والجسدية من خلال ضعف الجسدي لدى المرأة

" **حواء : دار عكس عقارب الساعة وصنع من خصلات شعرك فرشاة ليرسم بها لوحات مجد غابر** " **ص٢٤**

نعم هي المقولات الكبرى لدى الذكورية فـــ(العنف) واحدة من خصائص متعددة تمارسها الذكورية صوب الانثوية التي ما انفكت ان تقاوم هذا الجبروت العنفي المُمارس من قبل الرجل صوب المرأة وهذا ما نجده في الحوار التالي :

" **حواء : انه هو وظله لا ينفصلان منذ سنين الهمجية الاولى وهذا الظل يختفي ويظهر** " **ص٢٥**

وما من صورة اجدى واروع واجمل من ذاك الحوار الذي بينت فيه شخصية (حواء) هذه الصورة الجليلة لمُمارسة العنف المؤسساتي في العراق بالحوار التالي :

" **حواء : يملأون الاهوار من حليب الامهات لكنه تحول الى دم ونار** " **ص٢٥**

ففي الحوار السابق يتجلى واضحاً التعبير العنفي لكاتبة النص المسرحي(قابيل يعود من جديد) بالمأساة العراقية ولعل ظاهرة جفاف الاهوار هي مُتجذرة منذ ثمانينيات القرن المُنصرم وارادت كاتبة النص الاشارة بطريقة او بأخرى الى السنين العجاف التي مر بها بلدنا العزيز من ظلم وبطشٍ وقسوة جراء سياسات الساسة على مر الدهور، اما الحوار الذي تلاه فنجد ذات العلاقات التعسفية للرجل صوب المرأة

" **حواء : وانت لماذا انتزع جلدك** " **ص٢٦**

" **المرأة(٢) : كان يتلذذ بأن يسكب الخمر في جوفه والباقي يسكبه فوق رأسي وانا عارية امام اولادي**" **ص٢٦**

كم انها لحظات عظيمة تقشعر لها الابدان من قراءة هذا الحوار لأي انسان يريد العيش بسلام داخل الاسرة الواحدة وبالتالي المجتمع كون ان الانسان السوي لا يُقدم على مثل هذه الافعال التي لا تمت للإنسانية بصلة لا من قريب ولا من بعيد

" **حواء : قابيل ماذا فعلت ها هي مرآة المستقبل تظهر امامي اي شرائع انتهكت واي قوانين حطمت لماذا قتلت الشيخ والطفل، وابعدت الرجل والمرأة، وسرقت مستقبل الشباب** " **ص٢٦**

في الحوار السابق يجد مُتلقي النص المسرحي (قابيل يعود من جديد) وكأنه ثيمة النص المسرحي وغاية الموضوع فالمستقبل هو ما يرنو له بنو البشر، اما الافعال الواردة في متن الحوار(فعلت، انتهكت، حطمت، قتلت، ابعدت، سرقت) هي من حيث التصنيف الاولي افعال عدوانية تتسم بأبعاد الاخر عن الذات الانسانية وتجرده عن قيم الفعل الانساني النبيل وتتصف ايضاً بفعل الاستلاب النخبوي لشريحة مجتمعية قد وقع عليها فعل الظلم والجور جراء تسلط الاخر على المقدرات الانوية التي لم تلبث الا ان تماشي الحال حتى وان وقع عليها الفعل الظالم من قبل الاخر الذي يجعل من بطشه وجبروته وطغيانه ديدناً لفعله صوب الاخرين.

ان فعل شخصية (قابيل) هو فعل الظالم المتسلط على رقاب الاخرين الضعفاء فقد يكون قابيل من وجهة نظر التحليل النفسي والفني لهذا العمل المسرحي هو (الاب الظالم او الحاكم المتجبر او السيد المتغطرس او الذكورية او الطوطم او أي فعل تكون له الهيمنة بالغصب او بالترهيب على الاخرين)، وفي حوار آخر لشخصية (حواء) تحاول اقناع شخصية (قابيل) بان يتواضع ويتنازل للآخرين في محاولة لكسب وده.

" **حواء : تعال يا قابيل والقِ صولجانك وتنازل عن كرسيك المرصع بالأحجار وتخلى عن البساط الاحمر** " **ص٢٨**

هي دعوة من الاخر الى شخصية (قابيل) بالتواضع فالكرسي هو ميزة او إحالة للحاكم او لمن يمتلك زمام الامور اما ماهية ترصيعه بالأحجار فهي ميزة الثراء والغنى (التي قد تكون جاءت بسبل غير مشروعة) اما البساط فهو معروف لدى الجميع إما الاحمر فهو (إما لونٌ لكبرياء من سار عليه او دماء الابرياء التي سالت جراء فعل العنف الذي امتهنه الفاعل)، وفي الحوار الذي يلي هذه الرؤيا نجد ان شخصية (حواء) تعرفنا بالأثر والفعل الذي تتركه الممارسة العنفية

" **حواء : اننا نعيش عالم قحط العدالة وعقم الفكرة وتصاعد روح الاغتراب وحضارة تدمير مجهود العقل البشري** " **ص٢٨**

فعلاً انها حضارة لتدمير الشعوب بغياب العدالة، فواحدة من الامور المهمة التي يتكأ عليها القانون البشري الا وهي العدالة وغيابها يعني غطرسة المتجبر على مقدرات المظلوم الذي لا حول له ولا قوة بعد غيابها فهي المفصل الرئيس للعيش بسلام داخل الشعوب والمجتمعات وبالتالي داخل الاسرة الواحدة .

" **حواء (بلوعة وحزن) : اين انت يا قابيل... ماذا حل بهابيل...** " **ص٣٢**

لعلها صرخة الام للخلاص من جور الابن العاق لوالديه او المعتدي وهي نداء المظلوم الذي ابكته آهات السنين ليلقيها على عتبات الظالم لعله يعي معنى الحياة والعيش بسلام وطمأنينة مع الاخرين فيما اذا اراد العيش مع الاخرين كون ان افعاله التي لا تمت الى العيش الامن بصلة هي من اوصلته الى مراحل العنف المُمارس ضد الاخرين بشدة وبقوة وهي مُفارقة جد كبيرة ان يُقدم الاخ على نفي اخيه من الوجود عن طريق التعنيف بالقتل وهو انزياح كذلك صوب التمادي بكينونة الاخر واغتراس الفجوات التي من شأنها زرع الفرقة والفتنة بين الاخوة.

" **قابيل : اسمع يا هابيل لا تتغابى هل تعتقد انك بهذه الطريقة تتجاهلني لتنتقم مني...** " **ص٣٣**

في الحوار السابق يتجلى واضحاً تخوف شخصية (قابيل) من شخص (هابيل) كون ان الاول هو مقترف للذنب والعنف بالقتل وبالاعتقاد انه يكمن له المكيدة كي يأخذ بالثأر منه لقتله اياه.

" **قابيل :... سأبحث عن السلاح الذي أغير به سنن الاشياء ونواحي الوجود** " **ص٣٤**

نجحت شخصية (قابيل) نوعاً ما ومن النص المسرحي (قابيل يعود من جديد) في ايجاد تلك الامور التي من شأنها ان تكون سُنَة للوجود البشري متمثلةً في زرع بذرة الفتنة فيما بين البشر وذلك بممارسة البغضاء والعنف الجسدي والفكري واللفظي.

" **قابيل : ايتها الرياح اخفي الحقيقة وتستري على عاهات الواقع** " **ص٣٦**

يتضح من هذه المناجاة ان شخص (قابيل) ادرك ما اقترف من ذنب وراح يلوذ بكل من يستطع ان يقدم يد المساعدة له في اخفاء جرمه وتبيان العكس لجميع بني البشر بل راح يناجي الريح لإخفاء الحقيقة ولم يستنجد بأبناء جنسه في اشارة واضحة من شخصية (قابيل) الى عدم الاتكاء على بني البشر للمساعدة لانهم سيقفون بالتأكيد مع الحق والدفاع عنه والانتقام من العدو الذي ازهق روح شخصية (هابيل) .

" **حواء : ماذا حملت في احشائي كومة من اللحم والعظام من الذي يعوض عن عمر ذهب هباء وعن عناء على غير طائل وليالي غاب عنها القمر وجسد لم يعرف طعم النوم قابيل اين ذهبت بهابيل هل نسجت له عالماً من خيالك المحموم** " **ص٣٩**

في الحوار السابق تندب شخصية (حواء) حضها بأبنها شخصية (قابيل) وتصفه بـــ(كومة لحم وعظم) والخلو من المشاعر التي حباها الله عز وجل لبنو البشر عن سائر الكائنات الاخرى وايضاً تعاتب على تلك الايام والليالي الطوال التي انصرفت في كنف شخصية (قابيل).

وما حوار شخصية (الرجل) تجاه شخصية (قابيل) مجاوباً شخص (قابيل)، الا اعتراف بجرم شخصية (قابيل) وعدم مقدرته على مواجهة الحقيقية كونها مؤلمة وجارحة وكذلك الحال بأنها منقصة لشخص (قابيل) عند عامة الناس

" **الرجل : لقد قتلت امك قتلتها اختك بمساعدة الشيطان لقد اتفقا سوية في وضح النهار على وهج وميض ينبعث من عيون ماكرة على مرأى من نفوهم تتوهم بالوصول الى الحرية والخلاص والانعتاق عبر سبل شيطانية ودفنت في مكان مجهول في بقعة مباركة تحت جنح الظلام انها اختك يا قابيل ولكنها يا قابيل تجهل ذلك لقد اغراها الشيطان واقنعها بأنها امك إنه مسكينة فريسة الم لا يطاق وهي تعتقد انها امك** " **ص٤٧**

الحال ان الام لم تقتل الاخت ولكن الاخ قتل اخاه فالحوار السابق لغوياً هو مجاز لفعل الاخر الذي ارتكب الجرم واستُشهد بقرينٍ له مشابه ويُذكِر شخصية (الرجل) بالمكر والنفوذ الذين مارسهما شخص (قابيل) للوصول الى غاياته التي اغراه بها الفعل الشيطاني.

" **الرجل : اغراك الشيطان فضربته على قمة رأسه بالسيف المشؤوم المسموم في بقعة مقدسة على جنبات نهر الفرات قتلته لأنه كان يحمل هموم العالم وكان وحيداً فريداً وسط عالم متوحش** " **ص٤٨**

بعد ان ادرك شخصية(قابيل) بالجرم الذي اقترفه، اراد شخصية (الرجل) ان يُعلمه ايضاً بالتفاصيل الاخرى التي قد تكون غُيبت عن انظار الناس وهي ان اخاك كان لوحده ولم يكن احد معه وبذلك ادرك شخصية (قابيل) ان السكوت وعدم افتضاح النفس اولى من التشهير الذي قد يطاله في حالة افتضاح الامر وكذلك المكان الذي تمت فيه هذه العملية وهو نهر الفرات وان مكانة النهر عظيمة لدى المسلمين كافة كونه من انهار الجنة(بقعة مقدسة) التي تم ذكرها في (القرآن الكريم) فكيف لشخص ان يقترف هكذا جرم في مثل المكان هذا، فهي اذن ادانة واضحة وصريحة لشخصية (قابيل) بأنه اقترف الجرم بالعنف والقتل وفي مكان مُطهر

لعل في الحوار القادم هو تبيان الاسباب التي دفعت لقتل الاخ اخيه بالقول

" **قابيل: لقد اقلق حياتي واقض مضجعي بأفكاره وتطلعاته انه يحلم بعالم لا وجود له عالم لم يولد انه لا يملك الادوات للوصول الى ذلك العالم انه لا يملك غير الكلمات والاحلام والوعود** " **ص٥٢**

فالأخ يُعد الاخر انه اضعف منه وهو الاقوى بامتلاكه اسباب الوصول الى الجنة التي خرج منها، والسؤال هو لماذا خرج من الجنة ؟

ان الاخ الفاعل للعنف يعتقد ان الاخر هو مجرد خيال وانه هو الفعل.

" **قابيل : انا اجد لك هابيل وانت تخلصينني من هذا العبء الذي يأكل داخلي والذي يدور معي اينما اذهب** " **ص٥٢**

في الحوار اعلاه اعترافٌ واضحٌ وصريحٌ من لدُن شخصية (قابيل) لشخصية الام (حواء) بإيجاد (هابيل) شريطة ان تخلصه من ذلك الهم الذي الم به، يعلم الجميع ان من يقترف ذنباً يظل يلاحقه في سِفر حياته واينما حل وكأنه القرينة التي تتبعه، من هذا نجد ان هذا الجرم بدأ يُصبح عبأً على الاخ الذي اقترف الذنب، ان في الحوار السابق ايضاً نوعاً من انواع المُقايضة وكأنها تتم بين طرفي النزاع غالباً ولم يعد شخصية (قابيل) ان هذا الامر هو واجبٌ من واجباته اتجاه اخاه المفقود عند امه.

" **قابيل :...هل لديك الاستعداد لسماع كلمات تجلب الالم ورؤيتك لما تقشعر منه الابدان وتشمئز منه النفوس** " **ص٥٦**

وكذلك هو الحال ظلت شخصية (حواء) تسأل عن السبيل الى طريق (هابيل)، فيأتي الجواب من الاخ (قابيل) بالاستعداد الى ذلك لكن قد يكون الجواب والحل مُحملاً بألم وقسوة من سماع ما لا ترغبه الام عن ابنها الذي فقدت اثره، فليس المهم هو تصرف الاعداء ولكن الاهم هو تصرف الاحباء وقت الشدة.

" حواء : سأحتضن ابنائك يا هابيل وستكون هنالك شرائع وقوانين تقف بوجه قابيل ستُحاكم يا قابيل امام الملكوت الالهي ستدافع عنك ابالسة الجحيم وترسم عليك تعاويذها " ص٦٦

ها هي شخصية (حواء) في هذا الحوار وكأنها تحاسب ابنها شخصية (قابيل) وتتوعده بالقصاص والمحاكمة في حضرة (رب العرش) وهي تفصل فيما بين الحق ونقيضه، فهي تقف الى جانب شخصية (هابيل) وتعلن عن اقامة الشرائع والقوانين بالانتقام والاقتصاص ممن تسبب بإراقة الدماء البريئة واستخدام ابشع الصور الاجرامية في الانتقام من الاخر.

يتضح ان دم الاخ المقتول عُنفاً يشكل الخطر الطبيعي والاكبر على القاتل، فقد سال دم القتيل على الارض لا بل ومنعها من ان تفيض بالخير والاعتقاد الاكبر ان القاتل قد بث السم في الحياة ومنابعها، من بعد هذه الحادثة التي انتابها الالم والفاجعة يصل الباحث الى ثُلة من الامور التي يجب ذكرُها والولوج اليها الا وهي فيما يخص الشخص الذي يُمارس العنف او قد يكون العنف يشغل شيء من حياته :

١. يُشكل وجود الشخص الذي ارتكب العنف خطراً على الاحياء الباقين.

٢. يتحتم مُعاقبة الشخص الذي ارتكب العنف.

٣. اصبح الشخص الذي ارتكب العنف اشبه بالمُبتلى ومُطارد.

٤. اصبح الشخص الذي ارتكب العنف مُحاطاً بجو من السموم.

٥. بات الشخص الذي مارس العنف لديه القابلية والممارسة الفعلية الارتكاب مثل هكذا افعال في المستقبل، أي يكون هو اقرب الى ممارسة العنف من الشخوص الذين لم يُمارسوا هذا الفعل.

٦. تُعد ممارسة فعل العنف في المجتمعات المُتمدنة ظاهرة مؤسلبة وتقع تحت وطأة القانون.

٧. يُعد الشخص الذي مارس العنف منبوذاً داخل المجتمعات التي تمتهن المدنية والعيش بسلامة ورغيد داخل المجتمع.

٨. تبدأ روح الشفقة والرحمة عند الشخص الذي يُمارس العنف، بالتلاشي والاضمحلال وهي نقطة البدء لمثل هكذا مُمارسات.

٩. الصراع والنزاع النفسي الذي ينتاب الشخص الذي يمارس العنف هو ذو بعُد اكبر واوسع من الشخص الذي يقع عليه فعل العنف.

هذه هي ابرز سمات الشخص وصفاته الذي يمارس العنف ولو لمرة واحدة من وجهة نظر الباحث والتي تُبنى على اساس المُمارسة الفعلية للفعل المنشود عن طريق الشخص الخاضع لهذه المواصفات وهي العنف الموجه تجاه الآخر.

الفصل الرابع

النَتائج

١. وظفت كاتبة النص المسرحي(قابيل يعود من جديد) الطابع السيمولوجي ذا البُعد الانساني لشخصية (قابيل) والكيفية التي جعلته علامة مُرمزة في المُمارسة اللفظية لا بل والجسدية.

٢. انحازت علامات نمط الادراك الفردي في النص المسرحي (قابيل يعود من جديد) صوب المُمارسة الجسدية منها واللفظية ايضاً على حدٍ سواء لتُعبر عن شكل العِلاقة بين شخصية (قابيل) وشخصية (حواء) وكذلك مع شخصية الاخ (هابيل).

٣. وقعت رموز نمط الادراك المتلاقات في النص المسرحي(قابيل يعود من جديد) بآلية العمل التي شرعت في عدم أقصاء المرجع الخارجي والاعتماد على نمط التفكير المُحايث .

٤. أمتاز التحليل المُحايث لرموز نمط الادراك في النص المسرحي (قابيل يعود من جديد) بتكوين وانشاء الدلالة المعرفية وذلك بعدم أقصاء كل ما يتعلق بالنص ومرجعياته.

٥. أمتاز أسلوب التفكير الفردي لشخصية (قابيل) ومن خلال في النص المسرحي (قابيل يعود من جديد) بكونه اسلوباً مُنمطاً لمُمارسة العنف سواء اللغوي او الجسدي.

الاستنتاجات

١. لم يكن العنف يوماً نتيجة تتم بانعزال عن الفعل المُسبب وهو التنافس، فهو نتاج لسيرورة التأريخ المُتعاقبة والمُمتدة عِبر العصور.

٢. لم يُعد العُنف يوماً من الايام، إلا ردة فعل، بعد الوقوع ضحيةً من قبل الجاني.

٣. المتخيلات التي تتسم بالعنف لا تُمثل بُنى وقتيه وهي بالوقت ذاته ليست بُنى دائمه لكون ان النشاط الاجتماعي للفرد لا يتسم بالثبات بل يتعرض لكل المتغيرات التي تطرأ على حياة الفرد.

٤. ان الشخوص الذين تتسم طبائعهم بالعنف – وهو نسبي – يمثلون انعكاس للظروف التي يمرون بها في حياتهم، كونهم متموقعين اجتماعياً بهذه النظرة.

٥. ان اندفاع الفرد الذي يُمارس العُنف، لم يتأتَ من الاندفاع العدواني المفاجئ فلابد من تواجد السياق التاريخي للممارسة العُنفية.

٦. فعل لثقافة تتخذ من بعض السلوكيات مساراً لها.

٧. العنف الانساني، عنف علاقات وتحكم وهيمنة بالآخر لعلاقات توجهها المصالح الذاتوية وتغذيها العقائد المُتطرفة.

٨. العنف قد يُعد طبع للفرد، يولد عليه لكن بعدها سيكون سلوكاً يمتهنه.

التَوصيات

خُلص الباحث إلى مجموعة من التوصيات والتي يأمل الباحث ان يتم التعامل معها من قِبل المُهتمين في المراكز التي تُعنى باجتماع الاسرة داخل البلد ومن خلال مؤسساتهم وهي:

١. اجراء دراسة تبحث في العلاقات ما بين السلوك الانساني ومشاركته الاجتماعية اسرياً.

٢. ضرورة استخدام كل ما من شأنه الحد من العلاقات غير الجيدة بين الافراد.

٣. الشروع بوضع البرامج التي من شأنها ارشاد الأفراد للنهوض بالسلوكيات الجيدة لذواتهم.

٤. اعتماد تدابير من شأنها منع جميع أنواع العنف داخل المجتمعات.

المُقترحات

١. دراسة في (استخدام العنف في الطقس الديني).

٢. دراسة في (الشخصية المُعنفة وحضورها في المسرح العراقي).

٣. دراسة في (الادراك السلوكي لواقع الشخصية المُعنفة).

مصادر البحث

اولا : المعاجم والقواميس

بيار بونت و ميشال ايزار وآخرون:معجم الاثنولوجيا والانتربولوجيا ، ط ٢،ترجمة:مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت: ٢٠١١ .

جان بلانش،جان برتراند بونتاليس:معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة : مصطفى حجازي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت : ٢٠١١.

جماعة من كبار اللغويين العرب: المعجم العربي الاساسي،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس.

جون سكوت و جوردن مارشال : موسوعة علم الاجتماع ، مج ٢، ترجمة:محمد الجوهري وآخرون ، ع ١٨٧٧، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة : ٢٠١١ .

جيرار بن سوسان وجورج لابيكا:معجم الماركسية النقدي، تر: ترجمة جماعية،دار الفارابي و دار محمد علي للنشر،بيروت – صفاقس : ٢٠٠٣.

دانيال تشاندلر:معجم المصطلحات الاساسية في علم العلامات(السيميوطيقا) تر:شاكر عبد الحميد،اكاديمية الفنون ، دراسات نقدية (٣) ، مطابع المجلس الاعلى للآثار ، القاهرة : ٢٠٠٢.

كامل عويد العمري:معجم النقد الادبي،دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد : ٢٠١٣.

ثانياً : الكتب

اسامة عدنان يحيى:الآلهة في رؤية الانسان القديم؛دراسة في الاساطير،اشور بانيبال للكتاب،بغداد : ٢٠١٥ .

الأب سهيل قاشا : تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت : ٢٠١٠ .

باقر ياسين:تاريخ العنف الدموي في العراق؛الوقائع،الدوافع ، الحلول(خمسة آلاف سنة من العنف المتواصل) ط ٢ ، للصحافة والنشر والتوزيع ، دار الكنوز الادبية ، دمشق: ٢٠١٤ .

بتينا أي. شميدت وانغو دبليو شرودر، انثروبولوجيا العنف والصراع ، ترجمة : هناء خليف غني ، بيت الحكمة ، بغداد : ٢٠١٢.

صلاح سلمان رميض الجبوري و فاضل عبد الواحد علي : ادب الحكمة في وادي الرافدين،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد :٢٠٠٠.

صموئيل نوح كريمر:السومريون؛ تاريخهم حضارتهم وخصائصهم، ترجمة : فيصل الوائلي ، مكتبة الحضارات ، بغداد ، بيروت : ب ت .

طه باقر: مُقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، دار الوراق النشر المحدودة ، بيروت :٢٠٠٩.

عزت عمر : ظاهرة العنف في الخطاب الروائي العربي،كتاب دبي الثقافية،ع ١١٨،الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، دبي :٢٠١٤.

فاضل عبد الواحد علي :عشتار ومأساة تموز ، سلسلة الكتب الحديثة ، ع ٦٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٧٣.

هاري ساغز:عظمة بابل،ترجمة:خالد اسعد عيسى و احمد غسان سبانو،دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق : ٢٠١١ .